اسبوع رشدي العامل في المدى الثقافي

احتراماً لذكرى الشاعر رشدي العامل ومنجزه الثقافي والشعري خصصت ثقافة (المدى) اسبوعاً كاملاً للاحتفاء به وسيكون هذا الاحتفاء لا عن طريق (كتابات تأتي وتذهب) بل عن طريق الشاعر نفسه، رسائله، مذكراته قصائده غير المنشورة وحواراته مع الذات والاخرين، وسيكون للقراء كل يوم حصة مفعمة بالشعر والذكريات من رشدي الشاعر والاب والانسان.

من مذكرات رشدي

حكاية اللقاء الاول مع كامل الجادرجي

شكوى على الونداوي وصداقة مع اخرين من الكتاب والادباء

عند بداية العام الدراسي الجديد، كنت طالباً في الصف المنتهي بمدرسة الاعدادية المركزية العتيدة، اشهر اعدادية في العراق يومذاك. واذن فقد بدأت مرحلة جديدة

ها انذا اقطع الجسر القديم –جسر الشهداء– اربع مرات في اليوم صباحاً وظهراً في طريقي الى ذلك المعهد الاثير وعائداً منه الى بيت عمتي ام نمير في محلة الشيخ بشار بجانب الكرخ حيث بيوت العانيين والراويين والسامرائيين والتكارتة، وحيث تمتد المقاهي القديمة الشهيرة، على ضفة دجلة بمواجهة مباني الحكومة (القشلة) ووزارة الدفاع والمدرسة المستنصرية وسوق السراي.

وفي تلك الايام الذاهبة، التقيت بالطالب وجدي شوكت سري، الذي حكم عليه فيما بعد بالسجن وامضى سنوات فيه، مع اخيه عبد الجبار شوكت سري، والذي التقيته بعد اعوام في مقر اتحاد الطلبة العراقي العام بعد ثورة الرابع عشر من تموز ,١٩٥٨ في تلك الايام ايضا، تعرفت لاول مرة، على المرحوم عبد المجيد الونداوي، رئيس تحرير جريدة الاهالي الناطقة باسم الحزب الوطني الديمقراطي وهو لقاء مثير ظللت اضحك منه طويلاً انا وعبد المجيد بعد ان توثقت علاقتنا، وامتدت قوية، مستمرة، مفعمة بالعمل المشترك سنوات طويلة، حتى غاب وجهه الى الابد صحفياً مناضلاً في قسم الشؤون السياسية بجريدة الحزب الشيوعي المركزية "طريق الشعب". كنت قد كلفت بايصال مذكرة سياسية، تحمل تواقيع عدد كبير من المواطنين لنشرها في جريدة "الاهالي" ولا اتذكر موضوع المذكرة الان ودلفت الى مقر الحزب الوطني الديمقراطي الذي يضم مكاتب الجريدة ايضاً وكان بناء قديماً مجاوراً لمبنى مجلس النواب يفصله عن مدرستنا شارع ضيق يفضي الى نادي الضباط ومديرية الشرطة العامة.

سألت عن رئيس التحرير في مدخل بناء الحزب القديمة المتواضعة ودلفت الى سراديب في آخر المبنى يحتله الاستاذ الونداوي ناولته المذكرة فلم يفعل اكثر من ضمها الى اوراق مكدسة امامه وعندما سألته اذا كانت ستنشر في العدد القادم لجريدة الاهالي لم يزد ان اخبرني انهم سيقررون هذا فيما بعد وانها ستجد طريقها للنشر اذا كانت تستحق وعندما يأتي دورها. شعرت بالغضب يتصاعد الى رأسي فها انذا اتلقى رداً بمثل هذا البرود وعدم الاكتراث –كما خيل الي حينذاك– وصعب علي تجرع هذه الاهانة!" انا الذي يحمل مثل هذه المذكرة التي لا ادري لم اعتبرتها خطيرة وتأريخية وسرعان ما وجدت نفسي في باحة الدار أسأل عن غرفة رئيس الحزب الاستاذ كامل الجادرجي، ثم وانا ارتقي الدرج القديم، وأدلف الى غرفته اتذكره جالساً وراء مكتبه غارقاً في القراءة، وبين شفتيه سيجارة حييته وبدأت اشرح له بحرارة مقابلة رئيس التحرير لي، كنت مندفعاً، ولا ريب بطاقة الفتوة وحيويتها. عندما خلع الاستاذ الجادرجي نظارته وابتسم وهو يدعوني الى الجلوس وقدم لي سيجارة من علبة (كرافن آي) اعتذرت بادب فبادرني ملاطفاً:

–ها.. سيجارة برجوازية.. لذلك ترفضها اليس كذلك؟

ابتسمت خجلاً وانا اخبره باني لا ادخن.

المهم ان الاستاذ كامل وفي اول لقاء اشعرني بالثقة المطلقة والارتياح العميق، كما اوحى إلي بثقة غير محدودة برئيس تحرير جريدة حزبه واعتماده الكلي على احكامه وحيويته وطمأنني بان الاستاذ عبد المجيد ابعد الناس عن ايذاء مشاعر الاخرين وانه شخص ودود وطيب، وان مظهره الخارجي المتحفظ لا ينم عن حقيقة شخصيته الطليقة، المتفتحة المتعاطفة، وابتسم من جديد وهو يكمل:

– خصوصاً تعاطفه معكم.

– معنا؟

سألته، فقهقه بخفوت:

– نعم.. انتم الشيوعيون.

كانت مقابلة كريمة من سياسي بارز يحتل مركزاً مؤثراً في مجموع الحركة الوطنية ويحظى باحترام الجميع، لشاب صغير يراوح في الصف المنتهي من الدراسة الاعدادية وقد كان سروري مضاعفاً في اليوم التالي، عندما قرأت تنويها بارزاً ووافياً بالمذكرة التي اوصلتها الى جريدة الاهالي، والتي بدأت معها صداقة حميمة وطيدة مع الاستاذ الونداوي ومشاركة فعالة في النشاط السياسي والادبي والصحفي في السنوات اللاحقة وحتى رحيله المفاجئ المحزن. انها ذكريات لا تنسى ساعود اليها كثيراً فيما بعد.

ومن الصداقات الطيبة التي توفرت لي خلال دراستي بالاعدادية المركزية تلك العلاقة التي خلقتها زمالة الدراسة مع الطالب كريم محمود شنتاف والتي وثقها طريقنا اليومي المشترك من جانب الكرخ، حيث يسكن كلانا، الى المدرسة، عبر جسر الشهداء.

كان كريم في بدء نشاطه السياسي كأحد البعثيين القلائل في مدرستنا وكان يبدو لي شاباً ذكياً متحمساً لا يخلو من تعصب لمبادئه وكنت في الجانب الاخر أبدو له انا الاخر متعصباً لمبادئي الماركسية وقد ظللنا فترة طويلة نقطع الطريق الطويل من بيوتنا القديمة المتواضعة، الى مدرستنا في نقاش لايكاد ينتهي حتى يبدأ. كان كلانا يطمح ان يكسب زميله الى خندقه دون جدوى غير اننا احتفظنا خلف كل حدة نقاشاتنا وتبايننا وتعصبنا، بروح عالية من المودة ومن التقدير لبعضنا وقد انقطعت علاقتنا عندما فرقت الحياة بين مصيرينا ولم نلتق الا في اواسط عام ١٩٦٨ وعندما كان السيد كريم محمود شنتاف عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي استلم الحكم في الثلاثين من تموز من نفس العام ففي ذات صباح ذهبت لزيارة صديقي الشاعر المرحوم شاذل طاقه وكان يومها وكيلاً لوزارة الاعلام وفوجئت عندما الححت على سكرتير الاستاذ شاذل بمقابلته فوجئت بعدد كبير من كوادر حزب البعث في غرفته وكانت المفاجأة السارة حقاً، هي تمييزي للسيد كريم شنتاف بينهم وعندما تعانقت بحرارة دهش لها الحاضرون سأل المرحوم شاذل.

–اذن فانتما تعرفان بعضكما.

ضحك كريم وهو ينظر إلي:

– اذن فقد اصبحت اخيراً بعثياً يا رشدي!

– اسأل شاذل.

قلت له ضاحكاً، ورد شاذل:

–أبداً.. لا يزال كما هو.

قلت له بود وانا اعرف موقعه الحزبي الكبير بالطبع

–اسمع كريم.. احلى ما في علاقتنا واروع ما فيها اننا احتفظنا بذلك الود خالياً من الشوائب .. اليس هذا جميلاً؟

واخذ السيد كريم يروي لهم طرفاً من نقاشاتنا السابقة واختلافاتنا وصداقتنا الطيبة رغم كل شيء لقد بدا كما لو ان قرناً من الزمن قد مر على تلك الخطى الشابة الواثقة على الجسر القديم بين جانبي عاصمتنا التليدة، ها ان فتيان الامس اذن يمسكون الان مستقبل وطنهم رجالاً خبروا الحياة، واجتازوا سنوات التجربة مرارة ومعاناة تجلداً وصبراً.

في تلك الاونة ايضاً توثقت علاقتي بالشاعر زهير احمد القيسي الذي تعرفت عليه عن طريق الاستاذ انيس زكي حسن، لقد امضينا امسيات جميلة وممتعة ونحن نتريض، سائرين على مهل في شوارع العيواضية المظللة باشجار الكالبتوس الخضراء والمفعمة برائحة البيوت الارستقراطية القديمة داخل ذلك الجو الساحر من الغموض الساحر نقرأ الشعر ونتحدث عما تختزنه ذاكرتانا– ويا لذاكرة زهير الغنية ابداً– من سير الشعراء العرب وشعراء الغرب الذين تلقينا قصائدهم مترجمة، هنا وهناك، كان اكثر ما يفتننا لامارتين والفريد دي موسيه، ولورد بيرون وشللي وقد قيض لي ان اقف طويلاً تحت المطر، بعد سنوات طويلة عند بيت قديم ذي شرفة تطل على منظر ساحر في احدى مدن بلغاريا عاش فيه لامارتين ردحاً من الزمن كتب فيه اجزاء من قصيدته الشهيرة "البحيرة"

كان زهير صديقاً حميماً ورفيقاً باسلاً في الحزب امتدت علاقتي به طويلاً ولا تزال واذا كانت امسياتنا الطيبة الحانية بدأت هادئة هنية فان صداقتنا توثقت، هل اقول تفوذلت؟ في المعركة الوطنية الكبيرة التي خضناها مع جماهير شعبنا ونحن نرفع معاً احدى اللافتات في شارع الرشيد ابان انتفاضة تشرين ثاني ١٩٥٢ المجيدة التي القت بالشاعر زهير القيسي مع من القت بهم في غياهب السجون المظلمة.

ماذا اكتب عن بغداد؟

كتب الشاعر رشدي العامل هذه القصيدة السوداوية عن بغداد ايام كانت بغداد تحت ظروف الطغيان والسجون. وقد عرض فيها لايام القمع والقحط كما هي مؤرخة عام ١٩٦٥

ماذا اكتب عن بغدادْ
وجرادٌ إثرَ جرادْ
يزحف بين حقول القمح الاصفر
والقرّادْ
ملتصقٌ بالأجسادْ
يمتصُ عروقَ الضوء،
ويلعق لونَ الأورادْ
ماذا أكتب عن بغداد
دركيٌ فوقَ سريرِ الحاكمِ
والقاضي الجلادْ
والسلطانُ المخمورُ تحف به الاجنادْ
يشري الشعراء
يضحك للفقراء
يرشي اطفالَ الشهداءْ
آه يا سيدتي.. بغدادْ
مات الشاعر فيها،
وانتصر القوّادْ

١٩٦٥

قصائد الى مادو

نظرية

سيدتي،
لا يصنع الثورة
سيف، ولا ارتعاشة المدفعْ
لكنما،
عرقٌ مشى في جرحه مبضعْ
لا يكتب التاريخ،
بل يصنع

موقف

يا امرأةً قولي
كيف اتيت الى داري؟
قلبي يحمل حزن المحرومينْ
ويداي تلمان الطينْ
وعيوني يأكلها التنين
وانا بين النطع،
وبين السكين
❖❖❖

لو..

آه، لو أنّك مره
أطعمت جراحي،
شيئاً من ملحِ الأرضِ،
فلم أنعسْ
لو أن البوحَ على الثغر تيبسْ
❖❖❖

خجل

زهرةٌ في الطريقْ
خبأت عريها
في رمادِ الحريقْ
❖❖❖

قوانين

النوم في جزيرتي حرامْ
ويقظة الفجر
وبوح القلب للعينين، والاحلامْ
يتفق السجان والقضاة والامام
والهمس بين اثنين، والصلاة والصيامْ
❖❖❖
والوردُ في حديقتي حرامْ
لأنه أحمرْ
والغصن في مزرعتي حرامْ
لأنه اخضرْ
والنسغ الطالعُ، لا يُلوى ولا يُكسرْ
وفي شفاه من احب
جدول أسمر..

رؤيا

مِن هو القادم، لا نعرف من أين أتى
مِن هو الميت فينا
من هو الطالع من شمسِ الظهيرة
مَن هو الآتي،
يفك السحر عنا، ومتى
يدفن الاصنام والطاعون،
في أرضِ الجزيرة
ثم يذكي حولنا النارَ،
ويلقي بيننا أرغفةَ الخبز،
وملح البحر، والسر
ويعطينا وصاياه الاخيرة..

حصاد

يدفنون السبايا
يغصبون الصبايا
يسرقون الندى
من عيون السحاب
يطعمون المرايا
أوجها من تراب
يطفئون اللظى
في عروق الشباب..

مرآة

ظلك يحملُ سكينَ القاتلِ،
في الجسدِ المقتول
وجهكَ يحمل وجهين
وعيونكَ تبحث عن لحظة صحوٍ،
في عالمكَ المخبول
غارتْ في الرملِ خطاكَ،
وأنت تسير، الى أين؟
❖❖❖

هرب

سمل المسجونونَ عيون السجانِ وفروا
من باب السجن،
وغابوا في منعطفات الليلِ،
الى غابةِ زيتون

حصاد

يدفنون السبايا
يغصبون الصبايا
يسرقون الندى
من عيون السحاب
يطعمون المرايا
أوجها من تراب
يطفئون اللظى
في عروق الشباب..

١٩٨٧

شتاء

ثم حلَّ الشتاءُ، تساقط من حولنا الثلجُ،
واصفر عشبُ المقابر، سيدتي،
زارنا البرد في ليلة ممطرة.
أخرجونا عراة من المقبرة
طاردتنا الهراوات والاوجه المستفزة

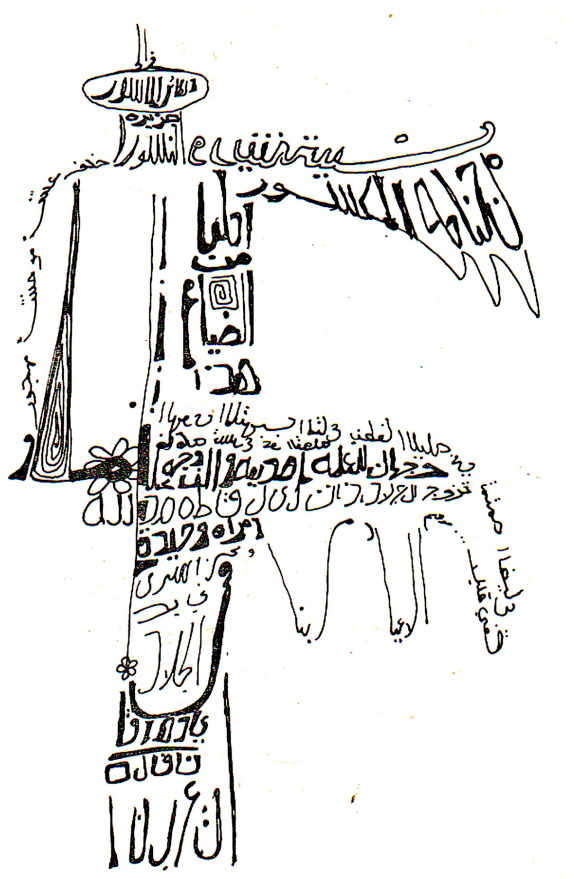

تخطيط هاشم سمرجي من ديوان رشدي للكلمات ابواب واشرعة

١٩٨٧

وعوتنا الكلابْ
سيدات القصور ارتجفنَ
واوصدن من دوننا كل باب
والمصلون فروا حفاة يلوذون بالمغفرة
وحدها القبرة
وطيور المساء
رافقتنا لاعشاشها،
زقزقت، ثم قالت:
سلاما
تعالوا معاً لطريق الخلاصْ
وقلنا سلاما،
وفي الافق يدوي الرصاصْ

١٩٨٨

حائط

حدثتني الحمامات،
جاءت من المدن المستحيلة
فقالت، ترفق بنفسك، ان الدروبَ طويلة
ان وجهَ السماءِ اكتسى بالغبار
لن ترى قمراً في الليالي،
ولا الشمس عند النهار
وفي الارضِ يذوي النخيلُ،
ويختنق الجلنار
وفي كل منعطف لو رحلتَ،
جدار يوازي جدَار..

انطباع

حطابٌ يأتي
يضرب في الغابة جذع الشجرة
طفل يتنزه في الغابة
ينقل بين الفأس وبين الغصن العالي نَظَره
آه لو تسقط للارض الثمره
فأنوس يدنو من نافذة البيت
يخفق طير، فوق الاشجارِ، بلا صوتِ
ويغني ولد
لا يعرف درب الاحزان
خطوة
ما أمر العذابْ
ما أحب الخطى
في حقول الضبابْ
غيمة انت ممطرة
أم سراب
نزهة بين خفق الضياءِ
ودمع السحابْ
نبع صيف وغابْ
آمِ يا جنةَ،
سورتها الحرابْ

لوحة

رأيتُ في حديقة الاسماءْ
وردة حزن تشربَ الضياء
لعلها بيضاء، او صفراء
لعلها كانت بلا لون،
تغطي عريها بالماء
ظامئة، تشرب من ساقيه الشجنْ
رأيت فيها وجهكِ المضاء
وجهكِ بين الظل والشباكِ، في اللوحة
أضاء لي ذاكرة الزمن
ادمعة ترقص في الاهدابِ، أم لوحه
اللوعة الخرساء،
والضحكة في المحنْ
والصوت صوتي،
مر واندفن

عراء

حتى لو متُ، وغاب جبيني،
أنت الميت
وسأحيا بعدكِ،
تبقى عيناي،
وترحل انت
انت الميت والموتْ
وأظل، اذا غيبك الغيبُ،
أظلُّ الصوتْ..

صناعة

الشعرُ طعامُ الفقراءْ
والكلماتُ دماء
وحقول القمح تريد الماءْ
ماذا تصنع في ليل الغربة،
لو رحلت في الافق عيونُ الشهداءُ
لو غرقت في الرملِ الاسماء؟